الشعر الجاهلي ، المحاضرة الأولى (امرؤ القيس حياته وشعره) .

قبيلته وأسرته :

أمرؤ القيس من قبيلة كندة ، ومن بيت السيادة فيها ، وهي قبيلة يمنية من حضرموت كانت تنزل وتعيش في غربي حضرموت من اليمن ، وهاجرت منها جماعة كبيرة إلى الشمال مع هجرات اليمنيين المعروفة واستقرت جنوبي وادي الرمّة الذي يمتدُّ من شمالي المدينة إلى العراق.

وهذه الإمارة الكندية النجدية كانت تقابل إمارة المناذرة في الحيرة والغساسنة في بلاد الشام .

وأما أبو أمرؤ القيس فهو حُجر بن الحارث قتلته قبيلته بني أسد ، وهناك روايات كثيرة لقتله في كتب الأدب وكتب التراجم ، كلها تشير إلى مقتله وتحميل ابنه مسؤولية الثأر لهذا القتل.

وامه فاطمة بنت ربيعة أخت المهلهل وقيل اسمها : تَملك ، وقيل : هي فاطمة وتلّقب بتملك.

وتترد في كتب الأدب أيضاً أسماء مختلفة لأمرئ القيس فيسمى : حُندجاً (القطعة من الرمل التي تنبت فيها النباتات المختلفة) ، وعدياً ومُليكة (صاحب الشدة وصاحب المُلك).

ولقبه أمرؤ القيس لكثرة الأسفار والتنقل ، وهو الملك الشاب .

وعُرف أمرؤ القيس بثلاث كنى : أبو وهب ، وأبو زيد ، وأبو الحارث .

ولّقب أمرؤ القيس بألقاب كثيرة منها :

- شاعر الغزل واللهو .

- شاعر المجون والغرام الفاحش .

- الملك الضليل .

- ذو القروح .

- أمرؤ القيس الكبير ، إذ إن هناك عدداً كبيراً من الشعراء لُقبوا بأمرئ القيس زادوا على المئة ، ويعرفون بالمراقسة .

وهو أول الشعراء في (طبقات فحول الشعراء)، لابن سلام الجمحي .

وهو أول شاعر في الجاهلية ، ومعلقته الشهيرة أولى المعلقات وأهمها وأعلاها في القيمة الفنية والصنعة الأدبية .

من العوامل المؤثرة في حياة أمرئ القيس ومن ثمَّ في شعره :

- مقتل أبيه وعدم أخذه بالثأر .

- فراره من القتال والمعارك .

- ضياع ملكه ورئاسة قبيلته وحكمها .

وتروي الأخبار أن أمرأ القيس كان شاباً طائشاً متهتكاً متغزلاً بالنساء من القبائل كلها ولذا حُرم من العيش والسكن في كلٍّ من هذه القبائل . وهو أيضاً لا يبالي بالمصير والموت ولاسيما في مرحلة الشباب من عمره عاكفاً على شرب الخمر والذبح والصيد والأكل في أي مكان يحلُّ فيه ويرتحل إليه ، حتى حين سمع بخبر مقتل والده قال : ضعيني صغيراً وحملني دمه كبيراً ، لا صحو اليوم ولا سكر غداً ، اليوم خمرٌ وغداً أمرٌ.

ويمكننا تقسيم حياة أمرئ القيس إلى مرحلتين مهمتين هما : مرحلة الشباب العابث ، ومرحلة السعي العاثر على الملك .

طرده أبوه من القبيلة وحرمه من الملك لما رأى الأب تمادي ابنه في الضلال والاغراق في المجون والخمر والتغزل بأعراض نساء القبيلة والقبائل العربية الأخرى وهو ما كان عيباً وتجاوزاً على الآخرين في زمن الشاعر وعند العرب .

في المرحلة الأولى من حياته وهي مرحلة الشباب ، مال أمرؤ القيس إلى الغزل والخمر والصيد واللهو . فهو الشاب الملك الذي يخاف منه الجميع وهو الشاب الغارق في النزوات المترف في القبيلة من السكن والمال والجمال والقوة والفتوة .

وأما في المرحة الثانية من حياته ، فنرى أمرؤ القيس يميل إلى الفخر بنفسه وقوته والرد على خصومه لما اتهموه بالجبن وعدم مقدرته على أخذ الثأر لأبيه ، وإلى الهجاء والنيل من أولئك الخصوم مهما كانوا وأنى كانوا ، وإلى الغربة وشكوى الزمان ولاسيما في آخر أيام حياته في تلكم الغربة وذلك المكان الذي مات فيه وحيداً مشرداً غريباً لا يجد معه حتى من يواريه الثرى !

معلقة أمرئ القيس :

هي المعلقة الأولى في كتب الأدب العربي وكتب المختارات الشعرية وكتب النقد الأدبي وكتب الطبقات وكتب التراجم .

وهي على الأرجح في واحد وثمانين بيتاً شعرياً ، ربما تزيد وتنقص بحسب الروايات المختلفة التي استقى منها المصنفون مادتهم العلمية في مصنفاتهم الأدبية أو الاختيارية أو النقدية أو ما كُتب في الطبقات والتراجم ...وغيرها .

وهي مشكّلة من اللوحات الشعرية الآتية :

١.**لوحة الطلل** (الأبيات من ١-٦).

٢. **لوحة الغزل والمغامرات الغزلية** (الأبيات من ٧ – ٤٣).

٣. **لوحة وصف الليل** (الأبيات من ٤٤-٥١).

٤. **لوحة وصف الصيد والحصان** (الأبيات من ٥٢ – ٦١).

٥. **لوحة السيل والبرق والمطر** (الأبيات من ٧٠ – ٨١).

الأغراض الشعرية في شعر أمرئ القيس الكندي :

١ .**الغزل والمرأة :** وهو اشهر اغراض الشاعر وأهمها وأكثرها وروداً في شعره ، ومنه الغزل الذي يخالطه الوقوف على الطلل ، والغزل الفني ولاسيما مع السرد القصصي والمغامرات الغزلية في يوم دار جُلجُل عند الغدير ، والغزل الماجن الصريح .

ومن ذلك قوله في المعلقة :

أفـــــاطِمَ مَهْـــــلاً بَعْـــــضَ هَـــــذَا التَّـــــدَلُّلِ

وإِنْ كُنْـــــتِ قَـــــدْ أزمعْـــــتِ صَـــــرْمِي فَـــــأَجْمِلِي

وَإِنْ تـــــكُ قـــــد ســـــاءتكِ منـــــي خَليقَـــــةٌ

فسُـــــلّي ثيـــــابي مـــــن ثيابِـــــكِ تَنْسُـــــلِ

أغَـــــرَّكِ مِنِّـــــي أنَّ حُبَّـــــكِ قَـــــاتِلِي

وأنَّـــــكِ مَهْمَـــــا تَـــــأْمُرِي القَلْـــــبَ يَفْعَـــــلِ؟

وَمَـــــا ذَرَفَـــــتْ عَيْنَـــــاكِ إلاَّ لِتَضْـــــرِبِي

بِسَـــــهْمَيْكِ فِـــــي أعْشَـــــارِ قَلْـــــبٍ مُقَتَّـــــلِ

وقوله في غير المعلقة أيضاً من الغزل أيضاّ :

سَـــــمَوتُ إِلَيهـــــا بَعـــــدَ مـــــا نـــــامَ أَهلُهـــــا
سُـــــموَّ حَبـــــابِ المـــــاءِ حـــــالاً عَلـــــى حـــــالِ
فَقالَـــــــت سَـــــــباكَ اللهُ إِنَّـــــــكَ فاضِـــــــحي
أَلَســـــتَ تَـــــرى السُـــــمّارَ وَالنـــــاسَ أَحـــــوالي
فَقُلـــــــتُ يَمـــــــينَ اللهِ أَبـــــــرَحُ قاعِـــــــداً
وَلَـــــو قَطَعـــــوا رَأسِـــــي لَـــــدَيكِ وَأَوصـــــالي

وهناك شعر غزلي صريح متكشف عند هذا الشعر ولا سيما في المرحلة الاولى من حياته وهو في ديوانه وفي كتاب المعلقات وشروحها وهو مما ينبو عنه الذوق والخلق والأدب .

٢. **الوصف :** من الأغراض الشعرية المهمة التي جاءت في شعر أمرئ القيس الكندي وبشكلٍ كبيرٍ في شعره ، ومنها وصف الاطلال كما في قوله :

ألا عِـــــمْ صَـــــبَاحاً أيّهَـــــا الطّلَـــــلُ البَـــــالي
وَهـــــل يَعِمـــــنْ مَـــــن كـــــان فـــــي العُصُـــــرِ الخـــــالي
دِيـــــارٌ لسَـــــلمَى عَافِيَـــــاتٌ بـــــذِي خَـــــالِ
أَلَـــــحّ عَلَيهـــــا كُـــــلُّ أسْـــــحَمَ هَطّـــــالِ
وتحســـــبُ ســـــلمى لا تـــــزالُ تـــــرى طَـــــلا
مـــــن الـــــوَحشِ أوْ بَيضـــــاً بمَيثـــــاءِ مِحْـــــلالِ

ومنها اللوحة الأولى من المعلقة المشهورة ، ومطلعها الشهير بالبكاء على الاطلال وزمنها وماضيها :

قِفَـــا نَبْـــكِ مِـــنْ ذِكْـــرَى حَبِيـــبٍ ومَنْـــزِلِ
بِسِـــــقْطِ اللّـــــوَى بَـــــيْنَ الـــــدَّخُول فَحَوْمَـــــلِ

ومنها أبياته الشعرية المشهورة في وصف الليل والبكاء على الزمن المنصرم في حياته ، وهو ليل الكآبة والحرمان والشكوى، وهي من وصف مظاهر الطبيعة الكونية ومن ذلك قوله :

ولَيْـــــلٍ كَمَـــــوْجِ البَحْـــــرِ أَرْخَـــــى سُـــــدُوْلَهُ
عَلَـــــيَّ بِـــــأَنْوَاعِ الهُمُـــــوْمِ لِيَبْتَلِـــــي
فَقُلْـــــتُ لَـــــهُ لَمَّـــــا تَمَطَّـــــى بِصُـــــلْبِهِ
وأَرْدَفَ أَعْجَـــــازاً وَنَـــــاءَ بِكَلْكَـــــلِ
ألاَ أَيُّهَـــــا اللَّيْـــــلُ الطَّوِيْـــــلُ ألاَ انْجَلِـــــي
بِصُـــــبْحٍ، وَمَـــــا الإِصْـــــبَاحُ مِنِـــــكَ بِأَمْثَـــــلِ

ومن الأوصاف الأخرى التي جاءت في شعر أمرئ القيس وصف لمظاهر الطبيعة الحية المتحركة ، ومنها وصفه للحصان ورحلة الصيد ولا سيما في الغداة وأول النهار كما في قوله من المعلقة :

وَقَـــــدْ أغْتَـــــدِي والطَّيْـــــرُ فِـــــي وُكُنَاتِهَـــــا
بِمُنْجَـــــرِدٍ قَيْـــــدِ الأَوَابِـــــدِ هَيْكَـــــلِ
مِكَـــــرٍّ مِفَـــــرٍّ مُقْبِـــــلٍ مُـــــدْبِرٍ مَعـــــاً
كَجُلْمُـــــوْدِ صَـــــخْرٍ حَطَّـــــهُ السَّـــــيْلُ مِـــــنْ عَـــــلِ
كَمَيْـــــتٍ يَـــــزِلُّ اللَّبْـــــدُ عَـــــنْ حَـــــالِ مَتْنِـــــهِ
كَمَـــــا زَلَّـــــتِ الصَّـــــفْوَاءُ بِـــــالمُتَنَزَّلِ
مِسِـــــحٍّ إِذَا مَـــــا السَّـــــابِحَاتُ عَلَـــــى الـــــوَنى
أَثَـــــرْنَ الغُبَـــــارَ بِالكَدِيْـــــدِ المَرَكَّـــــلِ

فضلاً عن لوحات للبرق والمطر وهي من مظاهر وصف الطبيعة الكونية كما مرّ بنا في لوحة الليل ووصفه .

٣. **الفخر :** وبرز هذا الغرض في المرحلة الثانية من حياته ، ومن خلاله يفخر على خصومه ويتغنى ببعض صفاته ومناقبه الشخصية من الشجاعة والقوة ويردّ على من وصفه بغيرها ومن ذلك قوله :

وأنـــــا المنبّـــــه بعـــــد مـــــا قـــــد نوَّمـــــوا
وأنـــــا المعـــــالِنُ صـــــفحة النُّـــــوَّامِ
وأنـــــا الـــــذي عرفـــــت مَعَـــــدٌّ فضـــــله
ونَشَـــــدْت عـــــن حُجـــــر ابـــــن أم قطـــــامِ
وأنـــــازل البطـــــل الكريـــــه نزالُـــــه
وإذا أناضـــــل لا تطـــــيش ســـــهامي

٤. **شكوى الدهر وبكاء الزمن:** وبرز هذا الغرض أيضاً في شعر أمرئ القيس في المرحلة الثانية من شعره ولا سيما في أخريات حياته وما قاله من شعر يوثق هذه الأيام الأخيرة من حياته وأدبه ، كما في البيتين اللذين قالهما في سفح جبل عسيب في بلاد الروم من أنقرة وقد رأى قبر امرأة من بنات الملوك ماتت هناك ودُفنت في سفح هذا الجبل فقال :

أَجارتنـــــا إن المـــــزار قريـــــب
وإنـــــي مقـــــيم مـــــا أقـــــام عســـــيبُ
أجارَتَنـــــا إنّـــــا غَرِيبَـــــانِ هَاهُنَـــــا
وكُـــــلُّ غَرِيـــــبٍ للغَريـــــبِ نَسِـــــيبُ

ثم مات ودُفن إلى جنب هذه المرأة فقبره هناك .

الخصائص الفنية في شعر أمرئ القيس :

١.مجيء التشبيه والتمثيل بشكل كبير في شعره ، إذ إن أغلب شعره في الأوصاف الطبيعية المختلفة وفي الغزل .. وهي الأغراض الشعرية التي تكثر معها التشبيهات لجعل هذه الموصوفات تتحرك وتعيش وتبكي وتطرب ... وما إلى ذلك.

٢. الاعتناء بالجرس الموسيقي وإيقاعاته ولاسيما في مطالع الأبيات الشعرية وفي غرضي الغزل والفخر .ولذا جاء شعره محبباً إلى النفس مطرباً قوي التأثير الموسيقي والصوتي .

٣. الانتقال من أفق العاطفة الذاتية إلى أفق العاطفة الإنسانية ولاسيما في أبياته في الغربة والشكوى وبكاء الزمان وما فعل فيه ، فنخن نحسُّ من شعره أنه يتحدث عن كل شخص مرّت به هذه الظروف والأيام الصعبة في حياته .

المصادر العلمية للمحاضرة :

- **تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي** : د. شوقي ضيف .
- **تاريخ الأدب العربي** : عمر فروخ (ج١).
- **تاريخ الأدب الجاهلي** : د. غازي طليمات ، عرفان الاشقر .
- **أمرؤ القيس – حياته وشعره** – : الطاهر أحمد مكي
- **ديوان أمرئ القيس** : تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .
- **شرح المعلقات السبع** : الزوزني .
- **شرح المعلقات العشر** : الشنقيطي .

- **أمير الشعر الجاهلي** : محمد صالح سمك .

- **الشعراء الجاهليون الأوائل** : د. عادل الفريحات .

- **الأدب الجاهلي** : هاشم العطية .

- **نصوص من الشعر العربي قبل الاسلام (دراسة وتحليل)**: د. نوري حمودي القيسي ، د.محمود عبد الله الجادر ، د. بهجت عبد الغفور الحديثي.

- **تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي** : د. شوقي ضيف .

- **تاريخ الأدب العربي** : عمر فروخ (ج١).

- **تاريخ الأدب الجاهلي** : د. غازي طليمات ، عرفان الاشقر .

- **أمرؤ القيس – حياته وشعره** – : الطاهر أحمد مكي

- **ديوان أمرئ القيس** : تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

- **شرح المعلقات السبع** : الزوزني .

- **شرح المعلقات العشر** : الشنقيطي .

- **أمير الشعر الجاهلي** : محمد صالح سمك .

- **الشعراء الجاهليون الأوائل** : د. عادل الفريحات .

- **الأدب الجاهلي** : هاشم العطية .

- **نصوص من الشعر العربي قبل الاسلام (دراسة وتحليل)**: د. نوري حمودي القيسي ، د.محمود عبد الله الجادر ، د. بهجت عبد الغفور الحديثي.